الحرب العثمانية – البندقية (1463- 1479م)

م.د. عباس عبد الوهاب علي فارس آل صالح*

تأريخ التقديم: 2010/6/28 تأريخ القبول: 2010/10/13

دوافع اندلاع الحرب :

اتسمت العلاقات العثمانية – البندقية بالتعقيد ، فقد كانت البندقية تسيطر على تجارة المشرق ولها مراكز تجارية واسعة هناك، وكان توسع الدولة العثمانية على حساب الإمبراطورية البيزنطية يعني بالنسبة للبندقية خسارة مناطق تجارية كانت تتحكم بها كما تريد، لأنها كانت لا تدفع فيها أية ضرائب ولا تخضع لأية رقابة، وجاء استيلاء العثمانيين على غاليبولي[1] عام 1348م ، لتغير من طبيعة العلاقات بين الدولتين، اذ أخذت البندقية تعمل على اتباع سياسة هجومية ضد الدولة العثمانية، وكان الصدام بين هاتين الدولتين الطموحين أمراً لامناص منه ،وقد تحقق ذلك حينما اشتبكت سفن البندقية بالسفن العثمانية أمام غاليبولي في مضيق الدردنيل عام 1416م ونجحوا في إحراق الأسطول العثماني، وسعوا إلى التوغل في الميناء الداخلي للمضيق لتدمير القاعدة البحرية بالكامل[2]، ولم يكن مستبعدا أن يحرز البنادقة مثل هذا النصر الساحق بسهولة فقد كانوا سادة البحر

* قسم التأريخ/ كلية التربية/ جامعة الموصل.

(1) غاليبولي (Galiboli): وهي من أهم الموانئ العثمانية وتقع عند مدخل بحر مرمرة ، على بعد حوالي (205) كيلو متر جنوب غرب استانبول ، وفي جنوب ادرنه على بعد (140) كيلو متر، وكانت من أهم الموانئ التجارية الكبيرة في العهد العثماني وما قبلها. أنظر: شمس الدين سامي ، قاموس الإعلام، مهران مطبعه سي ، (استانبول . 1306هـ/ 1889م)، مج5، ص3878.

(2) خليل اينالجيك ، تأريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ترجمة: محمد. م. الارناؤوط، دار المدار الإسلامي ، (بيروت . 2004م) ، ص 208 . 209.

وفرسانه منذ قرون، بينما العثمانيون لم يكونوا يمتلكون خبرة طويلة في ركوب البحر، ولكن كان لهم مجال واسع في البر يعوضون فيه ما يصيبهم في البحر من خسارة.

أخذت البندقية تسيطر على كل منطقة ساحلية يهددها العثمانيون ، وفي هذا الاطار بادرت البندقية إلى شراء مدينة سلانيك[1] من الامبراطورية البيزنطية عام 1423م، ولكن لم تمض سبعة اعوام حتى استولى عليها العثمانيون[2]، ودخلوها عنوة في 20 اذار عام 1430م[3]، وكان من اسباب النصر تطور الأسطول العثماني الذي استطاع رد سفن البندقية من غاليبولي[4].

ومع مجيء السلطان العثماني محمد الثاني الملقب بـ ((محمد الفاتح)) (1451–1481م) قامت الدولة العثمانية ببناء قلعة (روملي حصار) على الجانب الأوربي من مضيق البسفور في عام 1452م[5] مقابل قلعة اناضولي حصار التي بناها السلطان بايزيد الأول (1389–1402م) على الجانب الآسيوي من المضيق

---

(1) سلانيك (Selanik): وتسمى أحيانا باسم سالونيك ، كانت من أقدم المدن اليونانية ، وتقع على ساحل بحر ايجه في خليج يحمل اسمها، وعلى بعد (510) كيلومترا جنوب غرب استانبول، وكانت تسمى قديما (ترمه) ، وكان الإمبراطور قسطنطين الكبير Canstantine of Great (306 . 337م) قد بنى أسوارها وميناءها. أنظر: سامي ، المصدر السابق، مج4، ص2591.

(2) أمين شاكر وآخرون ، تركيا والسياسة العربية من خلفاء آل عثمان إلى خلفاء اتاتورك، دار المعارف، (القاهرة . 1955م)، ص19.

(5) Ismail Hakki Uzunçarşili, Osmanli Tarihi, T. T. K Basimevi, (Ankara . 1974), Cilt:1, S. 209.

(4) عبد العزيز محمد الشنأوي ، أوربا في مطلع العصور الحديثة ، دار المعارف، (القاهرة 1969م)، ج1، ص626.

(7) Hüseyin Dağtekin, Rumeli hisarrinin askerî ehemiyeti, Fâtih ve istanbul derğisi, Cilt:1. sayi:2. Temmuz 1953, S. 178

عام 1395م ، واحكمت الدولة العثمانية بذلك سيطرتها على هذا المضيق ومنعت السفن الاجنبية من اجتيازه إلا بعد تفتيشها ودفع رسوم المرور، ولكن سفن البندقية لم تعطِ اهتماماً لهذا الاجراء العثماني، وقد حأولت إحدى سفنها اقتحام المضيق لكنها اغرقت بنيران المدافع العثمانية المنصوبة على ضفتي المضيق[1]. وكان ذلك نذيراً بصراع عنيف بين الدولتين.

وعندما حاصر السلطان العثماني محمد الثاني مدينة القسطنطينية من (6نيسان – 28 ايار عام 1453م) اشتركت سفن البندقية التي كانت راسية في القرن الذهبي[2]، في الدفاع عن هذه المدينة، كما اشترك نائب جمهورية البندقية في القسطنطينية وجميع افراد الجالية البندقية فيها في الدفاع عنها[3]. وقد سعت البندقية بالتعأون مع البابا نيقولا الخامس Nicholas V (1447–1455م) إلى محأولة انقاذ القسطنطينية من خلال إرسال مدداً من السفن المجهزة بالجند والعتاد والمؤن، ولكنها جاءت بعد فوات الأوان[4]، وجاء استيلاء العثمانيين للقسطنطينية عام 1453م[5]، والتي عدا اسمها (استانبول) بعد وقوعها تحت الحكم العثماني، ضربة قوية جداً على البندقية افشلت مسعاها في الدفاع عن القسطنطينية، ودعا الدوق

(1) يلماز أوزتونا ، تأريخ الدولة العثمانية ، ترجمة: عدنان محمود سلمان ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، (استانبول . 1988م)، مج1، ص 106

(2) القرن الذهبي: هي خليج يمتد من مضيق البسفور باتجاه الشمال الغربي من اسطنبول، أنظر: علي حسون ، تأريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ، المكتب الإسلامي ، (بيروت . 2002م)، ص33.

(3) شارل ديل ، البندقية جمهورية ارستقراطية ، ترجمة: احمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر، دار المعارف ، (القاهرة . 1947)، ص 134.

(4) وليام لانجر وآخرون، موسوعة تأريخ العالم ، ترجمة: محمد مصطفى زيادة وآخرون ، مكتبة النهضة، (القاهرة . 1962م)، ج3، ص808.

(5) عن السيطرة العثمانية للقسطنطينية ، أنظر: علي همت بركي الافسكي ، العاهل العثماني ابو الفتح السلطان محمد الثاني وفاتح القسطنطينية وحياته العدلية ، ترجمة: محمد احسان عبد العزيز ، مطبعة السعادة، (القاهرة . 1953م)، ص ص 15 . 36.

فرانسكوا فوسكاري Francesco Foscari مجلس الشيوخ البندقي إلى الاجتماع وألقى فيه خطاباً حماسياً مؤثراً دعا فيه إلى اعلان الحرب فوراً على الدولة العثمانية ، ولكن الشيوخ الموقرين أرادوا التريث وتدبر الرأي وضرورة أخذ المصالح التجارية العليا للبلاد بنظر الاعتبار قبل الأخذ بهذا الرأي الخطير[1].

وبعد اتمام السيطرة العثمانية على قسطنطينية وجدت البندقية نفسها أمام أمر الواقع، ولذلك قرر مجلس الشيوخ البندقي الموافقة على تكليف بارتوليميو مارسللو Bartolemeo Marcello بالذهاب إلى ادرنة لمفأوضة السلطان العثماني للحصول على أفضل الشروط التي تضمن المصالح الاقتصادية للجمهورية والاعتذار للسلطان عن الموقف العدائي الذي وقفه البنادقة في القسطنطينية واشتراكهم في الدفاع عنها[2]، وقد نجح المندوب في اداء مهمته وعقد مع الدولة العثمانية معاهدة سلام ومودة في 8 نيسان 1454م ضمنت بها البندقية مصالحها التجارية في الشرق بشكل عام وفي الدولة العثمانية بشكل خاص، كما منحت بعض امتيازات اقتصادية جديدة[3]، وقد نصت المعاهدة على الشروط الآتية :

أ- فك أسر البنادقة المحجوزين لدى السلطات العثمانية منذ دخولهم القسطنطينية وإطلاق سراح نسائهن اللواتي ألحقن بالحريم السلطاني.

ب-تعيين قنصل ورئيس للجالية البندقية ، يعمل كمستشار وقائم بالاعمال في كل ما يتعلق بمواطنيه في الشؤون العامة والتجارية وآخر خاص بالشؤون القضائية ويكون مركزهم بالقسطنطينية.

---

(1) ديل، المصدر السابق ، ص136.

(2) Nasim Sousa, The Capitulatory Regim of Turkey, The Johns Hopkins press, (London –1933). p. 52.

(3) وليد العريضي ، "تأريخ الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية وآثارها"، مجلة دراسات العلوم الاجتماعية ، جامعة اليرموك ، المجلد 24، العدد 1، شوال 1417هـ/ شباط 1997م، ص147.

ج- يعطي السلطان العثماني تعليمات لوالي القسطنطينية لكي يزيل للبنادقة ومعتمدهم كل الصعوبات التي تعترضهم.

د- منح البنادقة حرية التنقل في اراضي الدولة العثمانية وحرية الدخول إلى الموانئ لاسيما ميناء القسطنطينية دون أي صعوبة.

هـ-تقرير دفع جزية معينة للسلطان العثماني لقاء دخول سفن البندقية للبحر الاسود ، وقدرت هذه الجزية بصفة مبدئية بحوالي عشرة الاف دوكة[1] سنوياً.

و- في حالة حدوث حالات الغرق تتولى السلطات المحلية مهمة الانقاذ مقابل رسوم معينة.

ز- يدفع البنادقة رسوما جمركية على مشترياتهم ومثلها على مبيعاتهم وقدرت بحوالي 2%.

ح- لا تعترض السلطات العثمانية على تجارة البندقية في الرقيق الابيض في منطقة البحر الأسود وتصديره للخارج وخاصة مصر، واذا تم البيع داخل نطاق الأراضي العثمانية يتم تحصيل جزية لاتقل عن 2% من المباع.

ط-منح البنادقة الامتيازات نفسها لرعايا السلطان العثماني في البندقية وممتلكاتها الأخربوالبلاد التي يشرف عليها، والسماح للعثمانيين بالتعامل مع أسواق البندقية نفسها.

ي-حرية تصدير البنادقة للقمح من الدولة العثمانية لقاء جزية سنوية قدرها خمسمائة دوكة[1].

(1) الدوكة (Duka): هي عملة جمهورية البندقية ، وكانت قيد التدأول في الدولة العثمانية وهي مصنوعة من الذهب وكانت قيمتها تختلف بين فترة وأخربالقياس إلى العملات الاخرى، أنظر: اسماعيل حقي أوزون جارشلي ، أمراء مكة في العهد العثماني ، ترجمة عن اللغة التركية: د. خليل علي مراد ، مطبعة جامعة البصرة، (البصرة . 1985م)، ص 26. وقد سماها الأتراك بالفيلوري أو الفلوران ، أنظر: ليلى الصباغ، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني ، (دمشق . 1973)، ص 109.

ان هذه المعاهدة كغيرها من المعاهدات لم تكن سوى هدنة مؤقتة فرضتها الظروف القائمة آنذاك، سعت من ورائها البندقية لكسب الوقت وتهدئة الامور مع الدولة العثمانية ، فقد كان هناك اكثر من ميدان تصطدم فيه الدولتان الطموحتان ، وزاد من قلق البندقية وتخوفها عناية السلطان محمد الثاني واهتمامه بتقوية الأسطول وتحصين مضيق الدردنيل بعد مضيق البسفور، بهدف مراقبة السفن المتنقلة بين البحر الاسود والبحر المتوسط[2].

ان توسع الدولة العثمانية في الاراضي القريبة من اراضي البندقية كان سبباً اخر في تصعيد الصراع بين الدولتين[3]. فقد استولى العثمانيون على الاراضي اليونانية المتمثلة بأثينا عام 1456م واجزاء من شبه جزيرة الموره عام 1460، وبذلك صارت الدولتان وجهاً لوجه[4]. وفضلا عما تقدم بدأت البندقية تمد يد العون إلى اعداء الدولة العثمانية كما حدث مع اسكندر بك الألباني في الحملة الصليبية التي كان من المزمع ان يقوم بها البابا بيوس الثاني Pius II (1458–1464م) [5]، الأمر الذي زاد في توتر الموقف وأصبح اقل حادث يكفي لإشعال نار الحرب بين الدولتين.

---

(1) نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر القرون الوسطى ، المكتبة العربية ، (القاهرة – 1960م) ، ص 437.

(2) Stanford J. shaw, History of the Ottoman Empirand Modern Turkey, Cambridge University Press, (London – 1976) Vol: 1, P. 65.

(3) N. J. G. Pounds, An Economic History of Medival Europe, First Published, Longmans, (London .1974). P. 469

(4) Ismail Hikmet Ertaylan, Fâtih Ve Fütühâti, Mars Matbaas, (Ankara–1996), Cilt:2, S. 70.

(5) Pounds, op. cit, p. 469.

وحدث في ربيع عام 1463م ان عبدا لوالي اثينا سرق مال الخزانة في الولاية والبالغة عشرة ألاف آقجة[1]، وفر إلى مدينة كورون التابعة للبندقية ، وأعلن العبد تنصره ، وعندما طالب العثمانيون بتسليم العبد والمال المسروق رفض البنادقة ذلك بحجة انه نصراني ولا يمكن تسليمه، فكان ذلك الشرارة الأولى التي فجرت الحرب بين الدولة العثمانية والبندقية والتي استمرت حوالي ستة عشر عاماً[2].

جبهات القتال العثمانية – البندقية (1463-1479م):

بعد ان تلقت الدولة العثمانية رد البنادقة بعدم تسليم العبد المذكور أعلاه، قررت الدولة العثمانية إعلان الحرب على البندقية ، وتحركت القوات العثمانية على الفور نحو الأراضي التابعة للبندقية وعلى جبهات عديدة تمثلت في :

1- جبهة شبه جزيرة الموره:

كانت شبه جزيرة الموره تابعة للإمبراطورية البيزنطية ، وكان يحكمها اثنان من اخوة الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر Canstantine XI ، هما توماس Thomas وديمتريوس Demetrius ، وعندما استولى السلطان محمد الثاني على القسطنطينية ابقى الاخوان في الموره شرط ان يدفعا له جزية سنوية قدرها ألفي دوكة ذهبية وان يحكما الموره باسمه ونيابة عنه، غير ان الأمور لم تستقر في الموره ، فجهز السلطان محمد الثاني جيشاً توجه هو على رأسه إلى الموره في

(1) اقجة (Akça): نقد عثماني يعود ضربه إلى عهد السلطان العثماني أورخان (1326 . 1360م) عام 1325م، ومعنى اقجة المبيضة أو البيضاء لغلبة الفضة على معدنها، حيث يبلغ عيارها 90% وقد عرفت في البلاد العربية بلفظ (عثماني) أي الدرهم العثماني، كما عرفت في بغداد باسمها (اقجة) أيضا. أنظر: عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي، 1139 . 1249هـ/ 1726 . 1834م، (النجف – 1975م) ، ص ص 552 . 553.

(2) جوزيف فون هاممه ر ، دولت عثمانيه تأريخى، ترجمة من الألمانية: محمد عطا ، كته ئون بدروسيان مطبعه سي، (استانبول – 1330هـ/ 1911م) ، ج 3، ص 83.

نيسان عام 1460م[1]، وكان أول ما استولى عليها قلعة طرطوس ومدينة اسبارطة، ثم تابع السلطان تقدمه في الموره فبسط نفوذه على قلاعٍ عديدة منها كاستريجا وغارديكا، وتتابعت مناطق أخرىمن الموره بالسقوط بين ايدي العثمانيين، ثم توجه السلطان العثماني نحو سواحل الموره الغربية فاستولى على مينائي أوارين وآركاديا، وكلف وزيره زاغنوس باشا مهمة السيطرة على موانئ مودون وبيلوس وقد نجح في ذلك بسهولة، وبذلك أنهى السلطان ووزيره زاغنوس باشا مهمة الاستيلاء على مدن الموره الواحدة تلو الأخرى، فيما استسلمت مدن أخرىطواعية، وبقيت بضعة مواقع ساحلية تابعة للبندقية[2].

تحركت القوات العثمانية في شبه جزيرة الموره بثلاثة مجاميع، المجموعة الأولى بقيادة عيسى بن أورانوس بك والي الموره الذي هاجمت قواته ميناء آرغوس[3]، واستولى عليها بعد حصار دام عدة ايام، بينما توجهت قوة ثانية بقيادة عمر بن طورخان إلى اطراف ليبانتو، كما زحفت قوة عثمانية ثالثة نحو مودون، وهدمت اطرافها في أواخر ربيع عام 1463م[4]. وعند وصول هذه الأخبار الى البندقية اجتمع مجلس الشيوخ البندقي وأعلن الحرب على العثمانيين في 28 تموز 1463م[5]، وكان الأسطول البندقي الذي كان بقيادة لويس لوريدانو Lewis

(1) المصدر السابق، ج3، ص47

(2) Ylimaz Öztuna, Büyük Türkiye Tarihi, (Istanbul1983), Cilt: 3, S. 13.

(3) آرغوس (Argos): من المدن اليونانية القديمة في شبه جزيرة الموره، وتقع على بعد(6) كيلومترات عن البر اليوناني ، وعلى مسافة 44 كيلو متر من برزخ كورنثه، وهي على سفح جبل يسمى اليكون في تلة مخروطية الشكل ، أنظر: سامي ، المصدر السابق، مج1 ، ص 126.

(4) هاممه ر ، المصدر السابق ، ج3، ص83.

(5) Tursun bey, Târihi . i Ebül . Feth, hazirlayan Metrol Tulum, Baha Matbaasi, (Istanbul –1977). S. 12.

Loredano قد نجح في الاستيلاء على قلعة فاتيكا على ساحل الموره، ثم توجهه إلى جزر بحر ايجه على أمل أن يلتقي بالسفن العثمانية خلال اشهر ايار وحزيران وتموز ، أي قبل اعلان البندقية الحرب على الدولة العثمانية بشكل رسمي ، ثم عاد الأسطول البندقي في أوائل شهر آب عام 1463 إلى الموره وبالتعأون مع جيش البندقية البري الذي نزل إلى الموره بقيادة برتولدو Bertoldo ، وتمكنا من استعادة مدينة آرغوس بعد حصار شديد[1].

بعد سقوط آرغوس بيد البنادقة تدهور وضع الدولة العثمانية[2]، وانتشرت الأنباء بقرب بدء الحملة الصليبية التي سيقودها البابا بيوس الثاني بنفسه ، وفضلا عن ذلك اقامت البندقية عدداً من التحصينات لإضعاف القوات العثمانية الموجودة في الموره منها اعادة بناء سور برزخ كورنثه الذي يصل الموره ببقية اليونان في الشمال، والذي هدم ايام السلطان مراد الثاني (1421–1451م) [3]، وكما استحوذ البنادقة على القلاع المتفرقة التي كانت تتحصن فيها الحاميات العثمانية[4]، وتمكنوا من استعادة بعضها فيما عصت عليهم قلاع أخرى. ثم توجه الجيش البندقي نحو مدينة كورنثه التي كانت من اكثر المواقع العثمانية حصانة في الموره، لكن الحامية العثمانية قأومتهم بكل ضرأوة واجبرتهم إلى الانسحاب بعد مقتل القائد البندقي برتولدو في إحدى المعارك التي جرت على الأسوار ، الذي كان لمقتله الأثر الكبير في نفوس جنوده[5].

(1) هاممه ر، المصدر السابق ، ج3، ص 84.

(2) ديل ، المصدر السابق ، ص 138.

(3) هاممه ر ، المصدر السابق ، ج3، ص 85.

(4) سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ، دار البشير للثقافة والعلوم ، (طنطا . 2000م)، ص241.

(5) سعدي بن حسن جان المعروف بسعد الدين خوجه ، تاج التواريخ ، عأمره مطبعه سي ، (قسطنطينية – 1279هـ/ 1862م) ، ج1، ص 503.

وكي لا تضيع اليونان كلها من يد السلطان العثماني اتخذ اجراءاً حاسماً ، فقد كلف الصدر الأعظم محمود باشا[1]، بقيادة جيش عثماني إلى الموره[2]. وكان الأخير يتوقع ان يلقى مقأومة كبيرة عند سور برزخ كورنثه، لكنه فوجئ بان السور خالي من المدافعين عنه، فاستولى عليها الجنود العثمانيون غنيمة باردة بعد ان انفق البنادقة على بنائه وتحصينه جهوداً كبيرة وأموالاً وفيرة، وتوجه بعدها إلى الموره ليستعيد القلاع التي خرجت من ايدي العثمانيين، ولم يجد محمود باشا بعد ذلك صعوبة في استرداد آرغوس وغيرها من المدن والقلاع التي كانت قد استولى عليها البنادقة، في حين بقيت بعض الأماكن الساحلية في ايدي البنادقة ، كما كانت من قبل[3].

بعد عودة السيطرة العثمانية على الموره ظلت الأمور فيها هادئة نوعا ما حتى عام 1477م ، وبعد ان فشلت جهود الطرفين في الصلح عام 1476م، أمر السلطان محمد الثاني قائده سليمان باشا الخادم بمحاصرة ليبانتو بشبه جزيرة الموره، والتي كانت لا تزال في ايدي البنادقة[4]، وأسرعت البندقية إلى نجدتها ومدها بالمؤن والذخائر والرجال وأمرت اسطولها بترك أعمال القرصنة والتخريب في

(1) محمود باشا: من اصل كرواتي ، وقد جلب إلى الدولة العثمانية وهو صبي ، حسب نظام الدوشرمة العثماني ، واصبح انكشارياً ، ثم تدرج في المناصب حتى وصل إلى رتبة صدر اعظم. أنظر: عبد الرحمن شرف، تأريخ دولت عثمانيه، طبع ثاني ، قره بت مطبعه سي، (استانبول . 1315هـ/ 1897م) ، ج1، ص 159.

(2) Tursun bey, A. G. E., S. 123.

(3) Kritovoulos, History of Mehmed the Conqueror, Translated by Charles T. Riggs, Pringeton University Press, (New Jersey – 1954), pp. 195. 197.

(4) ضياء محمد جميل عباس علي ، ((الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني (الفاتح) (1451ـ 1481م))) ، رسالة ماجستير ، غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل، 2002، ص 142.

السواحل العثمانية والاسراع بالذهاب إلى ليبانتو للدفاع عنها ، لأهميتها الكبيرة وحيويتها للبندقية[1].

حاصر سليمان باشا ليبانتو من جانب البحر ، في حين بقي جانب البر مفتوحا تأتي من خلالها المساعدات بأمان ، وقد فشلت جميع جهود العثمانيين وهجماتهم في استعادة ليبانتو، وعلى اثر ذلك رفع سليمان باشا حصاره عن ليبانتو في صيف عام 1477م[2]. ويبدو ان هدف السلطان العثماني من حصار ليبانتو كان لفتح جبهة جديدة على البندقية فضلا عن الجبهة البرية القريبة من الأراضي البندقية.

ب- الجبهة اليونانية :

انزل البنادقة جيوشهم في ميناء بيرية اليونانية ، ومنها اتجهوا إلى اثينا، وكانت آنذاك تعد من أغنى المدن ، وقد مارس الجيش البندقي فيها اعمال القتل والسلب والتدمير ثم عادوا مع غنائمهم إلى جزيرة اغريبوز[3]، ثم توجه الجيش البندقي الى بتراس التي حصنها العثمانيون، وقام فيكتور كابللو Victor Capello قائد الأسطول البندقي بمعأونة جاك باربايجو Jacques Barbarigo قائد الجيش البري البندقي في حصار هذه المدينة من ناحية البحر، إلا ان عمر بن طورخان بك قائد حاميتها العثمانية الحق هزيمة بالجيش البندقي وقتل قائد جيشها البري جاك باربايجو ، بينما لاذ الباقون بالفرار[4].

---

(1) هاممه ر ، المصدر السابق ، ج3، ص159.

(2) المصدر نفسه ، ج3، ص 159.

(3) اغريبوز (Agriboz): وتسمى كذلك نجربونت Nigroponte وتعني باليونانية الجسر الأسود ، وكانت اغريبوز من كبرى المستعمرات البندقية ، ومن كبرى جزائر بحر ايجه ، وتقع في الناحية الغربية منها لا يفصلها عن اليابسة اليونانية غير قناة بحرية اغريبوز وكانت المرسى الرئيسي للسفن البندقية في الشرق وقاعدة عسكرية لانطلاقة أسطولها الحربي ، أنظر: سامي ، المصدر السابق ، مج2، ص 1082.

(4) Kritovoulos, op. cit., pp. 215–216.

اعتقد قائد الأسطول البندقي كابللو ان هزيمة البنادقة مردها سوء النظام والفوضى في صفوف الجيش البندقي، لذلك عزم على معأودة الكرة مرة أخربعد ان أعاد تنظيم جيشه بشكل أفضل من السابق وهاجم بتراس من جديد ، إلا انه لقي الهزيمة في هذه المرة أيضا ، ورحل من بقي من جيشه إلى جزيرة اغريبوز في آب عام 1464م[1].

ج- جبهة جزر بحر ايجه :

كان هناك عدة أسباب دفعت بالدولة العثمانية إلى توسيع نفوذها إلى جزر بحر ايجه ، في مقدمة هذه الأسباب، ان السلطان محمد الثاني بعد سيطرته على القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، رأى ان لابد من السيطرة على جزر بحر ايجه، فقد كان قسم منها تابعاً للإمبراطورية البيزنطية المنهارة فاعتبرها ملكا للدولة العثمانية بالوراثة ، كما أن تأمين السواحل العثمانية يحتم عليه السيطرة على هذه الجزر كليا، لاسيما أن هذه الجزر لم تكن تحت سيطرة دولة واحدة وقوية تستطيع فرض سيطرتها على جميع جزر بحر ايجه ، فقد كان بعضها تابعاً أما للبندقية أو لجنوه ، عدا جزيرة رودس التي كانت تابعة لفرسان القديس يوحنا[2] منذ عام 1309م ، وبما أن الدولة العثمانية كانت ترغب في توجيه ضربة لنفوذ البندقية وجنوه ، فإن سيطرتها على هذه الجزر ستكون ضربة قوية ضدهما لاسيما البندقية، ومن ثم تحرمها من قواعد تجارية وعسكرية مهمة ، كما أن ذلك يؤدي إلى القضاء

(1) هاممه ر، المصدر السابق ، ج3، ص 88.

(2) فرسان القديس يوحنا: يلقبون Hospitalers ، ويعرفون عند العرب باسم الاسبتارية، وكان يطلق في عصر الحروب الصليبية على طائفة من الرهبان، واتخذت من أورشليم (القدس) مقراً لها، وبعد تحرير القائد صلاح الدين الايوبي المدينة الاخيرة في عام 1187م انتقلت هذه الطائفة إلى عكا ثم غادرتها إلى جزيرة رودس حيث اتخذت منها قاعدة لمحاربة أساطيل المسلمين. أنظر: ابراهيم علي طرخان، مصر في عصر المماليك الجراكسة 1382 . 1517م، (القاهرة . 1960م)، ص ص 97 . 98.

على حركة القرصنة البحرية ضد السواحل العثمانية ، التي كانت تقوم بها السفن البندقية في جزر بحر ايجه والموره واليونان ، ففي شهري نيسان وايار عام 1464م قام الأسطول البندقي بمهاجمة عدد من جزر بحر ايجه منها مديللي ولكن الأسطول البندقي انسحب منها إلى جزيرة اغريبوز حال سماعهم بقرب قدوم الأسطول العثماني بقيادة محمود باشا وبمساندة قوة برية[1].

وفي صيف عام 1464م هاجم الأسطول البندقي جزر بحر ايجه واستولى على جزر تاشوز وسمادرك، كما هاجموا جزيرة اينوس الغنية بمواردها واموالها وعاثوا فيها خراباً[2]. ثم انسحب منها الأسطول البندقي مرة أخرى إلى جزيرة اغريبوز بغنائمهم واسلابهم[3].

ومن الجدير بالذكر أن هذه الجزر، مديللي[4] وتاشوز واينوس صارت تابعة للدولة العثمانية منذ عام 1453م[5]، وجزيرة سمادرك منذ عام 1455م[6].

ومن خلال ما تقدم ، يبدو ان جزيرة اغريبوز شكلت قاعدة منيعة للبنادقة تنطلق منها سفنها لمهاجمة جزر أخربلبحر ايجه لاسيما الجزر التابعة للدولة العثمانية ، وكان مما أثار غضب السلطان العثماني محمد الثاني ما حل بجزيرة اينوس على أيدي البحارة البنادقة من تدمير وتخريب، مما دفعه إلى اتخاذ قرار بمهاجمة جزيرة اغريبوز[7].

---

(1) Kritovoulos, op. cit., p. 206.

(2) هاممه ر، المصدر السابق ، ج3، ص87.

(3) الرشيدي، المصدر السابق، ص245.

(4) Tursun bey, A. G. E., S. 119

(5) هاممه ر، المصدر السابق ، ج3، ص ص 26 . 27.

(6) Kritovoulos, op. cit., p. 109.

(7) عبد العزيز أفندي قره جلبي زاده آل الجلبي ، روضة الأبرار المبين بحقائق الاخبار ، بولاق مطبعه سي، (القاهرة . 1248هـ/ 1832م) ، ص 380.

جهز العثمانيون أسطولا ضخماً يقدر المؤرخ خوجه بأكثر من مئة سفينة مختلفة الأحجام[1]. بينما يقدره المؤرخ هأمر بثلاث مئة سفينة مختلفة الأحجام[2]. اما عدد القوات البرية العثمانية في هذه الحملة فيقدره هأمر بأكثر من مِائتين الف مقاتل[3]. وكان العدد كافيا لتحقيق النصر، لاسيما وان الأسطول العثماني، بقيادة الصدر الأعظم محمود باشا ، كان يدعمه من جهة البحر.

تحرك محمود باشا من ميناء غاليبولي على متن الأسطول العثماني متوجهاً إلى جزيرة اغريبوز، وبوصول الأسطول العثماني إلى أطراف الجزيرة انسحبت سفن البندقية المرابطة فيها[4]، وعددها خمس عشرة سفينة كبيرة[5]، مما أتاح لمحمود باشا إنزال جنوده إلى الجزيرة وإقامة جسر عائم عبر المضيق الفاصل بين الجزيرة والجزء القاري من اليونان، حيث كان قد وصل السلطان محمد الثاني على رأس جيشه البري، وعبر إلى الجزيرة ليشرف بنفسه على أعمال الحصار والقتال[6].

واستمر القتال بين الطرفين حوالي عشرين يوما انتهى بتحقيق نصر كبير للعثمانيين في 12 تموز 1470م، بعد فقدانهم أعدادا كبيرة من جنودهم[7]، وكان لسقوط جزيرة اغريبوز بيد العثمانيين دوي هائل في أوربا، لان الناس إلى ذلك الحين كانوا يعتقدون ان قوة العثمانيين إنما هي في البر وحده، أما البحر فلا

(1) خوجه ، المصدر السابق ، ج 1، ص 513.

(2) هاممه ر، المصدر السابق ، ج3، ص 102.

(3) المصدر نفسه ، ص 103.

(4) مصطفى بن عبد الله المعروف بكاتب جلبي (حاجي خليفة) ، تحفة الكبار في أسفار البحار، عأمره مطبعه سي ، (استانبول – 1213هـ/ 1798م) ، ص 7.

(5) هاممه ر، المصدر السابق ، ج3، ص 103.

(6) أيرينا بيتروسيان، الانكشاريون في الامبراطورية العثمانية ، ترجمة: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دار الرحاب ، (دبي . 2006م) ، ص 54.

(7) هاممه ر، المصدر السابق ، ج3، ص 104.

نصيب لهم فيه، لكن استيلاءهم على غريبوز من البنادقة سادة البحر آنذاك قد أوقعهم في الحيرة والفزع[1].

د- هجوم الأسطول الصليبي على سواحل آسيا الصغرى :

على اثر وفاة البابا بول الثاني Paul II (1464-1471م) في تموز عام 1471م خلفه على كرسي البابوية سكستوس الرابعSixtus IV (1471-1484م)، وكان أول عمل قام به هو إرسال مندوبين إلى دول أوربا بهدف تقوية العلاقات بين تلك الدول وتحريضهم على القيام بحمله صليبية جديدة ضد الدولة العثمانية، وبالرغم من الرسل الذين بعثهم إلى مختلف الملوك لم ينجحوا في أداء رسالتهم، لكنه نجح في تكوين حلف ثلاثي عرف بحلف كارافاAlliance of Caraffa ، نسبة إلى اسم المندوب البابوي الذي يعود إليه الفضل في عقده ، ضم كلاً من نابولي والبابوية والبندقية[2]، وقد وجدت الاخيرة ضآلتها في هذا الحلف.

اتفقت الدول الثلاث على تشكيل أسطول بقيادة البندقية ، مهمته مهاجمة السواحل العثمانية ، وباشر الأسطول نشاطه بالاغارة على انطالية في حزيران عام 1472م[3]، لكنها فشلت في الاستيلاء عليها واضطرت على اثرها إلى الانسحاب إلى جزيرة رودس[4]، ثم عاد الأسطول الصليبي لمهاجمة السواحل والجزر العثمانية بهدف السلب والقتل[5]. وكان اكثر نشاطهم أثرا في هذه المرة عندما هاجموا مدينة

(1) Lamartine A. De, Historie de La Turquis, (Paris –1858) To. II, P. 549.

(2) هاممه ر، المصدر السابق ، ج3، ص131.

(3) انطالية (Antalya): وهي من الموانئ التجارية الكبيرة في الساحل الجنوبي لأسيا الصغرى ، وهو من أهم موانئ البحر المتوسط ، ويحيط المدينة ثلاثة اسوار ، يعود بناء هذه الاسوار إلى عصر الامبراطورية الرومانية ، أنظر: هيوار ، مادة انطاليا، دائرة المعارف الإسلامية ، ج3، ص 69.

(4) كامل باشا ، تأريخ سياسيء دولت عليه عثمانيه ، (استانبول . 1327هـ) ، ص103

(5) Kritovoulos, op. cit., p. 215.

أزمير التي كانت من أغنى المدن العثمانية على الساحل الآسيوي آنذاك ، بسبب ضعف تحصيناتها[1].

في 13 أيلول عام 1472م رسى الأسطول الصليبي في أزمير ولم يجد صعوبة كبيرة في دخول المدينة بسبب فشل بالابان بك[2] سنجق بك أزمير في صد الهجوم[3]، وقد احرق الصليبيون المدينة وفي ساعات قليلة تحولت إلى شبه كومة من رماد[4]. ثم انسحب الأسطول الصليبي إلى ميناء مودون البندقي بشبه جزيرة الموره يسترح فيها ريثما يذهب برد الشتاء القارص، غير ان سفن نابولي غادرت إلى ايطاليا قبل انتهاء الشتاء تبعتها السفن البابوية ايضا[5]. ومن ثم لم يجد البنادقة إلا أحداً سواهم في محاربة الدولة العثمانية.

وفي شتاء عام 1472م قامت البندقية بعملية لاحراق دار صناعة السفن العثمانية في غاليبولي، وكذلك السفن العثمانية الراسية فيها ، إلا انها فشلت والقي القبض على منفذي العملية، وفي العام نفسه توجه الأسطول البندقي إلى جزيرة قبرص التي ساعدها حاكمها ببعض السفن والعتاد، ومن هناك ذهبت إلى سلفكة[6]

---

(1) كامل باشا ، المصدر السابق ، ص 103

(2) بالابان بك: وهو من اصل الباني ، تم جلبه إلى الدولة العثمانية حسب نظام الدوشرمه وقد تدرج في المناصب العسكرية حتى وصل إلى رتبة بك ، وقد شارك في الاستيلاء على القسطنطينية وابلى فيها بلاء حسناً. أنظر: سامي ، المصدر السابق ، مج2، ص 1206.

(3) الرشيدي ، المصدر السابق ، ص321.

(4) لانجر ، المصدر السابق ، ج3، ص 879.

(5) الرشيدي ، المصدر السابق ، ص276.

(6) سلفكة (Selefke): وهي من مدن الأناضول الوسطى وتقع على الساحل الأيمن لنهر كوك صو (الماء الأزرق) على بعد (16) كيلو متر شمالا من مصب هذا النهر على البحر المتوسط ، وفي جنوب غرب مدينة طرطوس ، ويقع في أطرافها خرائب مدينة سلفقية اليونانية القديمة التي جاء منها تسمية سلفكة. أنظر: سامي، المصدر السابق ، مج4، ص 2604

على ساحل اسيا الصغرى، وتمكن من الاستيلاء على قلعة سلفكة وبعض قلاع أخربليست ذات أهمية كبيرة[1].

هـ- الدبلوماسية البندقية في مواجهة الدولة العثمانية :

أدركت البندقية على أثر نشوب الحرب بينها وبين الدولة العثمانية صعوبة تحقيق نصر على عدوتها، لذلك بذلت جهوداً دبلوماسية من أجل إيجاد حلفاء ومناصرين لها في أوربا وآسيا على السواء، وبدأت بالعمل على إتمام تجهيز الحملة الصليبية التي كان قد دعا إليها البابا بيوس الثاني قبل موته عام 1464م. وبعد موته تم انتخاب الكاردينال بيير باربو Beer Barbo الذي اتخذ له اسم بول الثاني Pual II على عرش البابوية ، وقد كان أهم ما دفع الكرادلة إلى انتخابه انه بندقي، وعلى آية حال فقد استبشر البنادقة خيرا بانتخابه عسى أن يشن حملة صليبية قوية ضد العثمانيين، والحق إن البابا الجديد بمجرد انتهاء مراسم تتويجه حتى بدأ عمله في هذا الاتجاه، لكنه لم يحصل على التأييد الذي كان يريده[2]، فضلا عن انشغاله بمشاكل البابوية مع الهراطقة [3]، ومحاربة ملك بوهيميا جورج بوديبراد George Podebrad (1457-1471م)[4]، واستعان على ذلك بملك المجر ماثياس كورفينوس Matheyas Korfenos(1458-1490م) الحليف الوحيد المتحمس للبندقية في أوربا ، الذي حول قواته من قتال العثمانيين إلى قتال البوهيميين[5].

(1) هاممه ر ، المصدر السابق ، ج3، ص 134.

(2) الرشيدي ، المصدر السابق ، ص 294.

(3) الهراطقة: من الهرطقة بمعنى الخروج عن تعاليم الكنيسة المسيحية ، أنظر: ج. ج. كولتون ، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة وتعليق: جوزيف نسيم يوسف ، دار النهضة العربية، (بيروت . 1981م) ، ص 237.

(4) الشنأوي، أوربا في مطلع العصور الحديثة، ج1، ص 294.

(5) الرشيدي ، المصدر السابق، ص254.

استطاع البابا بول الثاني من تشكيل حلف صليبي مع بعض ملوك وأمراء أوربا وتم الإعلان عنه في 22 كانون الأول عام 1470م إلا ان هذا الحلف بقي حبراً على الورق[1].

وبعد أن فشلت البندقية في بناء حلف صليبي أوربي تعتمد عليه في الوقوف ضد الدولة العثمانية ، حأول البابا بول الثاني والبنادقة عرض مشروع التحالف على حسن الطويل (أوزون حسن) [2] (1454–1478م) سلطان دولة الخروف الابيض (الاق قوينلو) ، بهدف تنسيق العمليات العسكرية بين الجانبين من خلال فتح جبهتين مختلفتين على الدولة العثمانية في آن واحد ، وقد تبادل الطرفين الرسائل والوفود، وأعلن حسن الطويل عن موافقته في التحالف مع البابا و البندقية ، إلا أن المنية عاجلت البابا بول الثاني في 26 تموز 1471م قبل أن يتم الاتفاق على التحالف مع حسن الطويل بشكل نهائي[3]. وعلى الرغم من أن حسن طويل حصل على المساعدات العسكرية من البندقية، وقام مقابل ذلك بفتح جبهة جديدة ضد العثمانيين[4]، إلا ان جبهته تلك لم تكن ذات فائدة كبيرة للبندقية، كما أنها انتهت بهزيمة حسن الطويل أمام الجيش العثماني عام 1473م ، وضعف الحلف أكثر بانشغال حسن الطويل بمشاكله الداخلية ، ونزل على بلاده فوق هذا وذاك طاعون شديد فتك بعدد كبير من عسكره ثم شاء القدر أن ينتهي الحلف

(1) المصدر نفسه ، ص 258

(2) حسن الطويل: تولى عرش دولة الخروف الأبيض بعد انتصاره على أخيه جهانكير عام 1454م ، ووسع حدود دولته حتى صارت تشمل أرمينيا وبلاد ما وراء النهر وبلاد فارس والعراق حتى اطراف الفرات وديار بكر ، للتفاصيل: أنظر: عماد الجواهري، صراع القوى السياسية في المشرق العربي من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني ، (الموصل . 1990م)، ص 31.

(3) عبد العزيز سليمان نوار ، التأريخ الحديث للشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية ، (بيروت . 1973م)، ص 57.

(4) علاء محمد خليل قدأوي ، ((العراق في القرن التاسع الهجري . الخامس عشر الميلادي))، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، 1993م، ص170.

بموت حسن الطويل عام 1478م[1]. كما فشلت الجهود التي بذلتها البندقية في سبيل الوقوف مع إمارة قرمان[2] ضد العثمانيين[3].

و- جبهة البانيا:

كانت البانيا تكن العداء للدولة العثمانية بشكل علني ، وكانت تستغل كل فرصة مؤاتية لمحاربة العثمانيين وتتعأون مع أعدائهم ، حيث كان زعيمهم اسكندر بك[4]. قد اتفق مع القوى الأُوربية لفتح جبهة أخرى لإشغال العثمانيين فيها، كما أن اسكندر بك أوقع بالعثمانيين العديد من الهزائم القاسية في عهد السلطان مراد الثاني (1421-1451م) ، واستمر كذلك في مقأومة الحملات العثمانية الموجهة إليه[5]، ولم يكن السلطان محمد الثاني ليتحمل كل تلك الهزائم التي مني بها والده في البانيا دون ان ينتقم له، لذلك أرسل السلطان محمد الثاني جيشاً عثمانياً للقضاء على اسكندر بك في عام 1461م ولكن الأخير تمكن من ألحاق الهزيمة بالجيش

(1) بيتروسيان، المصدر السابق ، ص ص117 . 118

(2) إمارة قرمان: وهي احدى الامارات التركية التي قامت في الأناضول أعقاب ضعف الدولة السلجوقية، كان مركزها لانده ، ومن مدنها الكبرى ارمناك وقونيه وقره حصار ، وكانت حدودها تصل إلى انقرة شمالاً وسواحل البحر المتوسط جنوبا ، وامارة ذي القدر شرقاً ، والدولة العثمانية غرباً ، أنظر: كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة: كوركيس عواد وبشير فرنسيس ، (بغداد . 1954م) ، ص 180

(3) Shaw. op. cit., Vol. 1. p. 65.

(4) اسكندر بك: هو جورج كاستريوت George Castrirot، وكان أبوه من اسرة إقطاعية معروفة في البانيا ، وكان زعيما لحركة البانية ضد الوجود العثماني في شمال البانيا ، وبعد موت هذا الزعيم عام 1431م، استولى العثمانيون على شمال البانيا ، وأخذوا أبناءه رهائن لديهم ، وكان احدهم اسكندر بك ، وقد اظهر الأخير إسلامه وإخلاصه للسلطان مراد الثاني، ولما انشغلت الدولة العثمانية بحروبها في صربيا ومع المجر ، استغل اسكندر بك الفرصة وهرب إلى كرويا عاصمة البانيا، ومن هناك اعلن خروجه على العثمانيين. أنظر: Uzunçarşili, A. G. E., Cilt:1, S 22 . .

(5) عبد العزيز محمد الشنأوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة . 2005م) ، ج4، ص 125.

العثماني بعد ان أوقع بهم في كمين عند إحدى الممرات الجبلية[1]. وبعد هذه الهزيمة عقدت الدولة العثمانية معاهدة الصلح مع اسكندر بك في 22 حزيران 1461م تقرر بمقتضاه السماح له بحكم شمال البانيا باسم العثمانيين[2].

عند اندلاع الحرب العثمانية – البندقية عام 1464م ، نجد أن اسكندر بك لم يتردد في قبول عرض البابا بيوس الثاني بالمشاركة في حملة صليبية ضد العثمانيين وأعلن انه على استعداد لإلغاء معاهدة الصلح المعقودة بينه وبين العثمانيين[3]، وعلى اثر ذلك حصل اسكندر بك على مساعدات عسكرية من البندقية ، وتمكن من إلحاق هزيمة بالجيش العثماني في البانيا عام 1465م[4].

1– استيلاء العثمانيين على كرويا:

كرويا تسمى أحيانا أخرى باسم كروجه ، وسماها العثمانيون بـ(اقجه حصار)، تقع قلعتها على جبل مرتفع ، وهي قريبة من ساحل خليج البندقية على مسافة حوالي عشرين كيلومتر[5].

بعد موت اسكندر بك حاكم البانيا في 17 كانون الثاني 1467م، وتولى الابن الأصغر له حكم البانيا الذي كان ضعيفا يسيطر عليه البنادقة ، قررت الدولة العثمانية في صيف عام 1477م إرسال جيش بقيادة والي البانيا علي بك بن ميخال لمحاصرة كرويا[6] عاصمة البانيا، وفي 12 أيلول 1477م أرسلت حكومة

(1) علي سلطان ، تأريخ الدولة العثمانية ، (دمشق – 1991م) ، ص 68.

(2) Reşat Ekrem, Osmanli Muahedeleri Ve kepitulâsiyonlar. 1300. 1920. Ve lozen Muahedesi, (Istanbul .1934), S. 27.

(3) محمود شاكر ، التأريخ الإسلامي ، (بيروت – 1421هـ/ 2000م) ، ص 89.

(4) Ertaylan, A. G. E., S. 110.

(5) الشنأوي ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ،ج4، ص 134

(6) الرشيدي ، المصدر السابق ، ص 334

البندقية جيشا بقيادة فرانسسكوا كونتاريني Francseco Contarini لنجدة كرويا وفك حصارها، غير أن هذا الجيش وقع في كمين عثماني وهزم[1].

صارت البندقية في موقف محرج اثر الضربات العثمانية لها، و لاسيما من ناحية البر، إذ توغلت الجيوش العثمانية في داخل الأراضي البندقية ، كما فشلت الأخيرة في إيجاد حلفاء حقيقيين تستطيع الاعتماد عليهم ضد العثمانيين[2]، لذلك اضطرت إلى طلب الصلح الذي كاد ان يتم لولا بعض الشروط القاسية للسلطان محمد الثاني، فقد خول المبعوث البندقي إلى السلطان بتسليم كرويا وجزيرة ليمني وجزءاً من شبه جزيرة الموره يسمى براكسيو دي مينو Braccio di Mino ، وكذلك إعادة جميع المواقع التي استولى عليها البنادقة منذ بدء الحرب بين الدولتين، ويدفع للسلطان العثماني أيضا مئة ألف دوكة ثمناً لزراعة الشلب، وقد وافق السلطان على جميع هذه الشروط، ولكنه أضاف شرطاً أخر وهو أن تدفع له جمهورية البندقية جزية سنوية قدرها ستة آلاف دوكة ذهب بندقي، غير أن المندوب البندقي لم يكن له الصلاحية في الموافقة على شروط جديدة ، لذلك طلب من السلطان العثماني منحه الوقت حتى منتصف نيسان عام 1478م ريثما يعود إلى بلاده ويستشير حكومته[3].

وكان السلطان الثاني قد استبطأ رد البندقية وانقضى منتصف نيسان وهو الموعد الذي حدده سفير البندقية لعودته ولم يعد، ووجد السلطان نفسه في حل من أمره فزحف بجيشه إلى البانيا، و لما جاء السفير البندقي بعد ذلك لم يجد السلطان في القسطنطينية ، فبادر إلى اللحاق به في معسكر الجيش العثماني في صوفيا، لكن السلطان ابلغه بأن الموقف على ارض القتال قد تغير وأنه لم يعد متمسكا بشروط الصلح الذي عرضه ، وان كرويا قريبا ستسقط بيد الجيش العثماني ، كما

(1) هاممه ر ، المصدر السابق ، ج3، ص 159

(2) Ertaylan, A. G. E., S. 110.

(3) الشنأوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة . 1980م)، ج1، ص126.

ان السلطان اضاف شرطاً اخر اذا أرادت البندقية الصلح وهي تسليم اشقودره[1] للعثمانيين. وعاد السفير البندقي مرة أخرىإلى بلاده ليعرض الشرط الجديد لحكومته[2].

واصل السلطان تقدمه باتجاه البانيا، وكانت كرويا لا تزال تحت الحصار وهي منهارة من الناحية الفعلية، فضلا عن ذلك عمت الفوضى فيها بسبب تنازع الحكم عليها بين البنادقة وبين رؤساء القبائل الألبانية، واضطرت إلى الاستسلام للعثمانيين في 15 حزيران 1478م، بشرط الأمان على حياة سكانها وأموالهم، ووافق السلطان محمد الثاني على ما طلبوا وكتبه لهم عهداً بذلك واستولى على كرويا المدينة المنيعة الحصينة[3].

2– حصار أشقو دره ودخولها تحت السيطرة العثمانية :

تعد اشقو دره احد الحصون المنيعة في البانيا، وحتى تستطيع الدولة العثمانية من اخضاع البندقية ، قرر السلطان العثماني محمد الثاني في عام 1474م ضرورة استيلاء على اشقو دره وفرض السيطرة عليها ، لذلك اسند السلطان لاحد قواده وهو سليمان باشا الخادم بكلر بك الروملي بقيادة الجيش المتجه إلى اشقو دره، لكنه لم يستطع ان يستولي عليها بالرغم من ضرأوة الهجوم والحصار الذي فرضها، واجبر على اثر ذلك إلى الانسحاب عنها وعن البانيا[4].

(1) اشقو دره (işkodra): تعني وادي اشقو باللغة التركية وهي الآن تابعة لألبانيا ، تقع في القسم الشمالي الغربي من الساحل الالباني على البحر الايوني ، يحيطها الجبل الأسود شمالاً وكوسوفا ومناستره شرقا وجنوباً ، وهي منطقة جبلية وعرة صعبة المسالك ، وتقع قلعتها على مسافة قريبة من الساحل. أنظر: خوجه، المصدر السابق ، ج1، ص 562.

(2) هاممه ر ، المصدر السابق ، ج3، ص 163.

(3) المصدر نفسه ، ص 170.

(4) المصدر نفسه، ص174.

وبعد استسلام كرويا بيد العثمانيين عام 1478م ، مارست الدولة العثمانية ضغوطاً على البندقية من أجل إجبارها على الاعتراف بالهزيمة أمام العثمانيين، فقام السلطان محمد الثاني بإرسال قسم من جيشه في البانيا إلى اشقو دره ، وقد عهد بقيادة هذا الجيش إلى كدك احمد باشا ، يرافقه عدد من القادة العثمانيين البارزين ، غير أن كدك احمد باشا رأى بان هناك بعض الصعوبات التي تكتنف الحرب في البانيا فأمر السلطان بعزله عن القيادة وتعيين محمد باشا القرماني بدلا عنه[1].

وصل الجيش العثماني إلى أطراف اشقو دره ، واستولى على تلك الأطراف بسهولة في محأولة لإجبارهم على الاستسلام[2]، وكانت الدولة العثمانية مصممة على سيطرة على اشقو دره ، إذ كان لها أهميتها الإستراتيجية الكبيرة ، فهي الى جانب حصونها المنيعة كونها تقع في منطقة جبلية وعرة وصعبة المسالك ، فإنها تعد بابا للبحر ألايوني والبحر الادرياتيكي، وكان العثمانيون يسعون لإنشاء قواعد بحرية بالبانيا لجعلها قاعدة لانطلاق أعمالهم الحربية القادمة باتجاه الغرب[3].

وقد بدأ الحصار العثماني لاشقو دره مع أوائل تموز 1478م وكانت ضربات مدافعهم وهجماتهم شديدة وقوية جدا على الأسوار[4]، وكان السلطان محمد الثاني قد وصل في هذه الأثناء قادماً من كرويا، واجتمع مع قادة الجيش لوضع حد لمقأومة أشقو دره له[5]، وتقرر في الاجتماع إقامة جسر منيع محصن عند مصب نهر بويانا لمنع آية محأولة يقوم بها الأسطول البندقي للوصول إلى اشقو دره عبر هذا النهر أو تقديمها مساعدات لها، وتم إخضاع بعض القلاع الصغيرة حول أشقو دره كقلاع دارغوس وكَول باشي ولاش لاستكمال الحصار على أشقو دره[6].

---

(1) علي جواد ، مكمل عثماني تأريخى ، (قسطنطينية – 1899م) ، ج1، ص 151 . 153.

(2) خوجه ، المصدر السابق ، ج1، ص 563.

(3) الرشيدي ، المصدر السابق ، ص 339.

(4) علي حسون ، العثمانيون في البلقان ، (بيروت . 1986م) ، ص 121.

(5) جواد ، المصدر السابق ، ج1، ص 151

(6) علي، المصدر السابق ، ص 152.

انزعج السلطان العثماني من طول الحصار بسبب المقأومة المستمرة لاشقو دره ، لذا قرر السلطان محمد الثاني العودة إلى القسطنطينية يصحبه قسم من قواته في 7 أيلول عام 1478م وكلف أحمد بن أورانوس بك بمهمة مواصلة تطويق اشقو دره وتشديد الحصار عليها حتى يقضي عليها الجوع ويرغمها على الاستسلام، واستمر الوضع السيء لاشقو دره مع استمرار الحصار، وبقيت هي الأمور على ما عليه حتى تم عقد معاهدة الصلح بين الدولة العثمانية والبندقية في 26 كانون الثاني 1479م[1]. فقد كان من شروط الصلح حسب ما جاء في البند الحادي عشر على تسليم اشقو دره إلى الدولة العثمانية، مع منح سكانها الحرية الكاملة في البقاء فيها أو الرحيل عنها بأنفسهم وأموالهم وفي الوقت نفسه يحق للبندقية سحب كافة عددها الحربية من المدينة بحرية تامة[2].

ح– الحرب في عمق الأراضي البندقية:

لكي يشغل السلطان العثماني الجيش البندقي في أكثر من جبهة ويضعف قوتها، أرسل عددا من فرق الجيوش العثمانية بقيادة عددا من القادة البارزين لمهاجمة المدن البندقية القريبة من الحدود العثمانية ، وقد تزامن هذا الهجوم مع حصار اشقو دره عام 1478م[3]. وانتشر الجيش العثماني في مدن فريول وكارنيول وكارنثيا وستيريا ، واستمر توغلهم في أراضي البندقية حتى وصلوا إلى شواطئ نهر ايسنز (اق صو) التي كانت محصنة بجيش بندقي يقدر بحوالي عشرين الف مقاتل، ولم يوقف هذا الجيش تقدم القوات العثمانية التي انتصرت عليها، واستمرت

(1) Ertaylan, A. G. E., S. 109.

(2) Shaw, op. cit., Vol. 1, p. 69.

(3) الرشيدي ، المصدر السابق ، ص 339.

تتوغل في أراضي البندقية حتى وصلت إلى الغابات والبساتين المجأورة لمدينة البندقية نفسها[1].

أحدثت التحركات العثمانية رعبا في البندقية التي بات سقوطها وشيكا بيد العثمانيين[2]، وفي الوقت نفسه كان عمر بن طورخان بك يحقق انتصارات على البنادقة في سواحل الموره وعلى وشك طردهم نهائياً منها، كما ان حالة اشقو دره كانت سيئة للغاية وتحتاج إلى عناية مركزة من البندقية لمنع سقوطها ، وكذلك كان من الصعب جداً استدعاء الأسطول البندقي من جزيرة قبرص خوفاً من ضياعه[3].

نتائج الحرب العثمانية – البندقية:

إزاء تدهور الأوضاع قررت البندقية قبول شروط الصلح التي يريدها السلطان محمد الثاني، وان كان صلحا مهينا ، وأرسلت مبعوثها جيوفاني داريو Giovoni Drio إلى القسطنطينية، وفي 26 كانون الثاني 1479م وقع باسم دولته معاهدة الصلح بينها وبين الدولة العثمانية ، وبمقتضاها تخلت البندقية عن آرغوس وأغويبوز وسلمت ليمني وجميع البانيا ما عدا بضعة مواقع على الساحل وتدفع للسلطان محمد الثاني تعويضاً حربيا قدره مائة ألف دوكة، وجزية سنوية قدرها عشرة آلاف دوكة ، وفي مقابل ذلك منح السلطان محمد الثاني للبنادقة حرية التجارة في جميع أرجاء الدولة العثمانية، وان يكون للبندقية قنصل في القسطنطينية يشرف على شؤون البنادقة فيها وينظر في قضاياأهم المدنية [4]، وفيما يلي نص المعاهدة:

(1) الشنأوي ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة . 2004م)، ج2، ص165.

(2) ديل ، المصدر السابق ، ص 140.

(3) هاممه ر ، المصدر السابق ، ج3، ص 179

(4) Shaw, op. cit., Vol. 1, p. 69.

1- تعاد جميع الأراضي والأموال التي استولى عليها العثمانيون أو من يواليهم من البنادقة إلى أصحابها وكذا الحال بالنسبة للممتلكات العثمانية التي استولى عليها البنادقة.
2- يوفر العثمانيون الحرية والأمان لسفن وتجار البندقية في الأراضي والبحار العثمانية ، كما تلتزم البندقية بتوفير الحرية والأمان للسفن والتجار العثمانيين في الأراضي والبحار البندقية.
3- يكف العثمانيون عن معاداة دوقية ناكسوس ولا يتعرضون لسفنها ، وتلحق بالبندقية كما كانت من قبل وتتنازل الدولة العثمانية عنها ولا تطالبها بالجزية.
4- تلتزم السفن العثمانية والبندقية بإظهار علامات الصداقة لبعضهما بعضاً عندما تلتقي ويستثنى من ذلك سفن القراصنة ، ويحق لكلا الطرفين ملاحقة وتأديب تلك السفن أينما وجدت.
5- إذا حدث أن قام احد أفراد الجالية البندقية بعمل سيء أو لم يوف دينا ما فلا يتحمل بقية أفراد الجالية وزر ذلك ، وتلتزم حكومة البندقية بالمثل تجاه العثمانيين.
6- إذا حدث أن التجأ احد أسرى البنادقة إلى العثمانيين وأعلن إسلامه فإن الدولة العثمانية لا تقوم بإعادته بل تدفع عشرة اقجات إلى أصحابه البنادقة مقابل الإبقاء عليه. وتعيد الدولة العثمانية اللاجئين البنادقة الذين يفضلون البقاء على ديانتهم النصرانية.
7- يلتزم الطرفان بإعادة اطلاق البحارة الذين تحطمت سفنهم على السواحل سواءً العثمانية أو البندقية ، وإعادة أموالهم إليهم.
8- إذا توفي احد أفراد الجالية البندقية ولم يترك وريثاً فان أمواله تسلم إلى قنصل البندقية، أو احد افراد الجالية البندقية في تلك المنطقة في حالة عدم وجود قنصل بندقي هناك إلى ان تبت حكومة البندقية في الأمر.

9- يحق للبنادقة تعيين قنصل لهم في استانبول حسب القوانين البندقية ، وهذا القنصل يتولى إدارة شؤون البنادقة – بموجب القانون البندقي – الموجودين في الدولة العثمانية ، يساعده في ذلك صوباشي – ضابط تابع له– ، وإذا تدخل في امور التجارة يلزم بدفع عشرة الاف دوكة ذهب بندقي للحكومة العثمانية.

10- تدفع البندقية إلى الدولة العثمانية تعويضاً عن خسائر الحرب وما امتنعت عن دفعها في السابق من ديون ما قبل الحرب مبلغاً قدره مائة الف دوكة ذهب بندقي وخلال سنتين. ويكف العثمانيون بعد ذلك عن المطالبة عن اية ديون سابقة لهم على البنادقة.

11- تسليم قلعة أشقو دره إلى العثمانيين ، مع منح سكانها الحرية الكاملة في البقاء فيها أو الرحيل عنها بأنفسهم وأموالهم. وفي الوقت نفسه يحق للبندقية سحب كافة عددها الحربية عن المدينة وبحرية تامة.

12- تترك جزيرة ليمني للعثمانيين ، ويمنح سكانها الحرية الكاملة في البقاء فيها أو الرحيل عنها إلى أي مكان يشاءونه بأنفسهم وأموالهم. ويعفى عن الراغبين منهم بالبقاء عن ما قام من نشاطات ضد العثمانيين.

13- تعيد البندقية كافة القلاع التي استولت عليها في المراحل الاخيرة للحرب في شبه جزيرة الموره ، اما من رغب من سكانها بالرحيل عنها فلهم الحرية مع نقل اموالهم أيضا ، ويعفى عن الراغبين منهم بالبقاء ما قام من اعمال ونشاطات معادية للدولة العثمانية ، ويعيد العثمانيون ما استولوا عليه من الأرضي في البندقية.

14- تقوم الدولة العثمانية بنشر السلم في المناطق التي تلحق بسنجق ايامورة[1]، من القلاع والايالات والجزر والممالك سواء في المضيق أو خارجه، في

(1) ايامورة: من جزائر اليونان السبعة ، وتقع شمال شرقها جزيرة كورفو ، وتقع بين ايامورة وبين البر اليوناني ، عدد من الجزر الصغيرة ، يبلغ طولها (35) كيلو مترا وعرضها عند اعظم اتساع لها (13) كيلوا مترا ، ومجموع مساحتها الكلية مع الجزر الصغيرة حوالي (344) كيلومترا مربعا. أنظر: سامي ، المصدر السابق ، مج1 ، ص 509.

البحر أو في البر، ولا يتعرض حكام وسكان هذه المناطق على المصالح العثمانية سواءً تلك التي ضمن أراضيهم أم التي خارجها ، وتلتزم حكومة البندقية باتباع سياسة مماثلة تجاه العثمانيين[1].

لكن السؤال الذي نطرحه ، لماذا وافقت البندقية على عقد معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية؟

إن البندقية كانت تواجه مشكلة معقدة ، فهي رغم شدة عداوتها للدولة العثمانية إلا أنها لا تستطيع أن تنزل جيشاً بريا ضخماً ، بعد أن فقدت الحليف والنصير وظلت طوال ستة عشر عاماً تجابه وحدها قوة الدولة العثمانية، واضطرت في النهاية إلى إمضاء المعاهدة اضطراراً. ومن ناحية أخرى فان هذه المعاهدة فسحت أمام البندقية سبيل التجارة والثروة من خلال حرية المتاجرة في جميع أرجاء الدولة العثمانية ، وبأن يكون للبندقية ممثلاً تجارياً في حي غلطة في استانبول ، ليشرف على مصالحها.

أما الدولة العثمانية فإنها بموجب هذا الصلح أصبحت لها اليد العليا في البانيا وفسحت المجال للجيش العثماني للعمل بحرية في شبه جزيرة الموره.

الخاتمـــــة:

كانت الحرب التي اندلعت بين العثمانيين والبنادقة من أطول الحروب أمدا وأشدها عنفاً، إذ طال امدها ما يقرب من ستة عشر عاماً (1463–1479م)، وقد جرت وقائع الحرب بين الدولتين في عدة جبهات منها في شبه جزيرة الموره وفي اليونان وفي جزر بحر ايجه وأخرى في آسيا الصغرى وفي البانيا واخيراً جبهة في داخل الأراضي البندقية.

وخلال هذا الصراع لم تكن الدولة العثمانية تواجه البندقية فقط ، بل سعت الأخيرة في تكوين تحالفات مع قوى أوربية أخرى كالبابوية ونابولي...الخ ، وكان الحماس الديني والمصالح المشتركة مع البندقية وراء تلك التحالفات ، كما ان

(1) Ekrem, A. G. E, SS 29– 30.

البندقية كانت تبذل جهوداً دبلوماسية من اجل استغلال الخلافات الإقليمية للدولة العثمانية مع دول وإمارات تركمانية صغيرة ومعادية لها كدولة الخروف الأبيض وإمارة قرمان بهدف كسب تلك الدول الصغيرة إلى جانبها والتحالف معها ومن ثم دفعها لفتح جبهة جديدة ضد العثمانيين بعيدة عن جبهات القتال الدائرة بين العثمانيين والبنادقة مما يؤدي إلى تشتيت قوة الجيش العثماني في أكثر من جبهة في آن واحد ، وما تواجهها جراء ذلك من صعوبة في توزيع قواتها بين أوربا وآسيا أو في نقل هذه القوات ، ولكن مهما يكن ، فان تلك القوى المتحالفة سواء الأوربية أو التركمانية لم تستمر في تحالفها مع البنادقة طوال أعوام الحرب، وإنما بعضها كانت لا تعمر إلا أشهر قليلة والبعض منها تموت قبل أن ترى النور ، وفضلا عن ذلك فان تلك التحالفات لم تؤثر في تغيير مجريات الحرب لصالح البندقية. وهناك مسألة مهمة وهي ان البندقية لم تعطِ ثقتها التامة للقوى التركمانية خلال تكوين التحالف وذلك بحكم وجود الاختلاف بينها وبين القوى التركمانية من الناحية الدينية والعرقية.

وبالنتيجة فان الدولة العثمانية انتصرت على البندقية وأزالت تهديدها على الأقل في المدى القريب ، فلم يعد البنادقة ينظرون باستخفاف إلى الدولة العثمانية ، اذ ان الأخيرة جراء تلك الحرب استولت على اجزاء عديدة من أراضي البندقية في جزر بحر ايجه وفي شبه جزيرة الموره والبانيا وغيرها ، ونجحت أيضا في إجبار البندقية على توقيع معاهدة الصلح التي أنهت المشاكل القائمة بين الدولتين، وحولت العلاقات بينهما من حالة حرب وصراع إلى إقامة علاقات اقتصادية ولاسيما التجارية منها، وإلى علاقات دبلوماسية نظمت بموجبها شؤون رعايا الدولتين في الطرف الأخر.

Ottman - Vinece war (1463-1479 A.D.)

Dr. Abbas Abdul Wahab A.Faris Al Salih

Abstract

This research deals with a war that took place between Oottoman state and Venice during the Ottoman state's expansion in

Europe in the 2nd half of the 15th century. The significance of the research comes from that the war was not limited to one front but it has severed fronts in Al-mora, Greece, IJa sea, Albania and in Vince. Thus, Venice attempted during the war to form a coalition with European forces as Pope's force, Napoli, Turkman forces opposed to ottoman state as white limb, Qarman Emarate, but it could not achieve its endeavours.

The war finished when Ottomans achieved a great victory against Venice and expanded on lands belonging to Venice like Al-mora, Greece Albania and so on. While Venice, in spite of being the loser, had been allowed to have full trade in Ottoman territories.